العولمة الثقافية والمواطنة

د. بن الشين أحمد ، الباحث . بوخلخال علي
جامعة الأغواط . الجزائر

الملخص :

تعتبر المواطنة من المفاهيم التي شكلت أبعاداً في غاية الأهمية، ومن متطلبات تنمية المجتمعات الأساسية لجوهرها المطلق نحو تحقيق غاياتها المنشودة لبناء مجتمع مدني قوي قائم على مبدأ المساواة والتكافؤ واحترام التعددية والأفكار، وعندما تكون سليمة يتجه المجتمع نحو التقدم وينعم بالرخاء والاستقرار، وعندما تضعف بين أفراد المجتمع يصبح كيانها هشاً تزعزعه شوائب الدهر، لذلك جاء هاته الورقة البحثية من أجل التعرف والكشف عن تأثير العولمة الثقافية على مفهوم المواطنة في المجتمع الجزائري، فالأولى تسعي إلى تسويق مفهوم المواطنة العالمية على حساب المواطنة المحلية والتي من شأنها أن تضعف قيم المواطنة لدى المواطن وتقوية انتسابه وولائه للخارج.

Summary:

Citizenship is considered one of the concepts that formed very important dimensions, and is considered of the demands of the development of basic societies for its essence towards achieving its wanted goals for constructing a strong civilian society standing on the principle of equality, and respect of the diversity and ideas, and when its safe, the society heads toward development and enjoys prosperity and stability, and when it weakens between the individuals of the society it becomes a fragile entity moved by the fragments of the age, for that this search paper came in order to identify and uncover the effect of cultural globalization on the citizenship concept in the Algerian society, the first endeavors to sell out the global citizenship concept over the local citizenship which can weaken the citizenship values for the citizen and strengthen his affiliation and his loyalty for the abroad.

مقدمة :

مما لا شك فيه أن موضوع المواطنة يعتبر من المواضيع القديمة والمتجددة التي ما تلبث أن تفرض نفسها عند معالجة أي بعد من أبعاد التنمية بالمفهوم الإنساني الشامل بصفة خاصة ومشاريع الإصلاح والتطوير بصفة عامة، ويفسر ذلك ما تناله من اهتمام على العديد من المسارات تشريعياً تربوياً سياسياً و اجتماعياً.

وفي هذا السياق احتلت هذه القضية مساحة كبيرة في الدراسات السياسية والاجتماعية والتربوية والإعلامية، وتعددت أبعاد المواطنة في علاقاتها الممتدة عبر قضايا تتمحور في علاقة الفرد بالمجتمع والدولة من خلال أطر قانونية منظمة للحقوق والواجبات، ومبنية على مواصفات المواطن وأبعاد المواطنة حسب المنابع الفكرية للدولة ومرجعية نظرياتها السياسية، وأنتجت أطروحات الفكر في مختلف دول العالم، والعديد من الرؤى الفكرية حول مفهوم المواطنة ومبادئها، حقوقها وواجباتها، تنوعت بتنوع مبادئ الفكر ونظرياته السياسة وفرضت نفسها بقوة، فالمواطنة بمفهومها الواسع تعني الصلة بين الفرد والدولة التي يقيم فيها بشكل ثابت يرتبط بها جغرافياً وتاريخياً وثقافياً.

وقد شهد المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة مجموعة من التغيرات السياسية والتكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، من حيث عمقها واتجاهاتها ونتائجها، والتي أثرت بشكل مباشر على النسق القيمي للمواطنة لدى أفراد المجتمع بصفة عامة وعلى الشباب بصفة خاصة حيث تتمثل هذه التغيرات في جملة التصورات التي حدثت للواقع الجزائري خلال تلك الفترة بانتهاج سياسة الانفتاح الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والإعلامي، والتي أفرزت قيماً جديدة مستحدثة لم تكن موجودة من قبل، إذا تعرضت منظومة القيم الاجتماعية إلى هزات أو تحولات غير منتظرة أو انتابها نوع من الخلل نتيجة عوامل وظروف محددة تدهورت أحوال وأنساق المجتمع وعم الفساد في البلاد وشعر الناس كما يشير " ابن خلدون (بفقدان التوازن وعدم الثقة وضياع الرؤى وانتاب المجتمع حالة من الإحباط والعجز وعدم الرضي والقلق والتوتر وشاعت بين الناس حالة من التردي والوهن وسادت الفوضى الأخلاقية والسلوكية، وفقد النظام الاجتماعي قدرته على البقاء والالتزام وضعف لديهم الشعور بالانتماء للوطن)، كل ذلك يعنى الإحساس بوجود أزمة أو حالة يطلق عليها علماء الاجتماع الأنومي أو اللامعيارية الأخلاقية "[1]، بالإضافة إلي المتغيرات الاقتصادية التي تواجه الناس خلال مسيرة حياتهم المعيشية وتقف حائلاً أمام احتياجاتهم الأساسية، كالفقر والبطالة وارتفاع الأسعار وقلة الخدمات وزيادة مستوى المعيشة والقهر المادي وعجز الأفراد عن تدبير أمور حياتهم المعيشية، كل ذلك يؤدى إلى تشكيل أنماط سلوكية لا معيارية ويخلق نوعاً من الخلل الذي يتفاقم عبر الزمن، بل قد يصل إلى خلق أشكال من الانحراف والانسلاخ، حيث يحاول كل فرد البحث عن وسائل غير مشروعة للتغلب على تلك المشكلات المادية والضغوط الناتجة عنها، أما العولمة الثقافية فتتمثل في الثورة العلمية والتكنولوجية حيث جعلت العالم أكثر اندماجاً وسهلت حركة الأفراد ورأس المال الثقافي والفكري والسلع والخدمات وانتقال المفاهيم والأذواق والمفردات فيما بين الثقافات والحضارات، فهي الطاقة المولدة المحركة للقرن الحادي والعشرين في كل سياقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والإعلامية، فهذه الثورة أحدثت تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر الناس بها إلى أدوارهم.

وتعتبر العولمة الثقافية ضمن هذا السياق، إحدى المتغيرات التي شهدت العديد من المنعطفات الجديدة سواء من حيث المضمون أم من حيث تصوراتها محلياً وعالمياً، ومن هنا يأتي التساؤل الأساسي لهذه الدراسة والذي مفاده:

إلى أي مدي يمكن أن يتأثر مفهوم المواطنة بفعل العولمة الثقافية التي تتجاوز نطاق الذات والتاريخ والخصوصيات والتصورات في المجتمع الجزائري كنموذج ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية بعض التساؤلات الجزئية والتي تعتبر كمحاور لبناء هذه الدراسة .

1- ما دور المتغيرات الثقافية العالمية في بلورة مفهوم المواطنة في المجتمع الجزائري ؟

2- هل حقا للثقافة الجماهيرية دور كبير في التأثير على مفهوم المواطنة المحلية في المجتمع الجزائري ؟

▪المفهوم والمصطلح :

شهدت المجتمعات العالمية عامة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص في الآونة الأخيرة تشكلاً لنظام عالمي جديد اتضحت معالمه وآلياته تدريجياً حتى وصلت في أقصى درجاتها إلى ما يسمي بالعولمة، التي أصبحت الاتجاه الذي يفترض أن تتميز وتتحرك فيه، إلى جانب ذلك تأثيرها في كل الظواهر المجتمعية على العديد من المستويات المحلى والإقليمي والدولي، كما اعتبرت آلياتها هي التي تتحكم في كل ما سبقها من انجازات المجتمع على عديد من المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية، بحيث أصبحت هذه الإنجازات تحت هيمنتها إلى حد كبير لخدمة أهداف العولمة سلبية كانت أو إيجابية.

لذلك قبل الخوض في معركة المفاهيم المتعلقة بالعولمة الثقافية التي هي جزء لا يتجزأ من النسق الكلي الذي يكمن في العولمة، سنعرج أولاً على المقصود بالعولمة.

1- العولمة :

إن مفهوم العولمة قد أحدث جدلاً واسعاً ومتشعباً بين الباحثين والدارسين لها في مختلف العلوم عامة والتخصصات بصفة خاصة، ويرجع سبب ذلك الاختلاف إلى اختلاف المرجعيات التي ينتمي إليها هؤلاء الباحثون، فالعولمة من الناحية اللغوية يكاد الأمر متفق عليه إلى حد بعيد جداً رغم تعدد المعاجم والقواميس، "فالعولمة هي الترجمة الحرفية لكلمة MONDIALISATION و GLOBALIZATION وهذه الكلمة تعني إعطاء الشيء صفة العالمية، والخروج به من نطاق المحلية أو الإقليمية، أما عن أصل الكلمة فهي إنجليزية GLOBE والتي تعني الكرة، كرة أرضية أو كرة جغرافية أو أي جسم يكون على شكل كروي، كذلك هي مشتقة من اللاتينية من كلمة GLOBUS"[2].

وجاء في "المعجم الجديد ويبستر WEBSTER أن العولمة هي إكساب الشيء طابع العالمية، وبخاصة نطاق الشيء أو تطبيقه، ويندرج تحت هذا اللفظ، عدة معانٍ منها: العالم، والكون، والأرض"[3].

إذاً العولمة من الناحية اللغوية هي كلمة غربية دخيلة على اللغة العربية والتي يقصد بها توسيع نطاق الشيء ليغطي العالم كله بغض النظر عن المعاني المتعددة للعولمة، وننّبه إلى أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة قرّر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً[4].

أما اصطلاحاً فهي كما عرفها الدكتور محمد عابد الجابري بقوله " هي العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع، وهي أيضاً أيدلوجيا تعبر بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته "[5].

كما تعبر عن "حركة التقارب العالمي الذي يبرز عبر ظاهرة التجانس الثقافي من جهة والتنوع الثقافي من جهة أخرى، وهي مسألة تستحق التوقف عندها كملامح متصلة بتشكيل الهوية الثقافية "[6].

إذاً ما يمكن قوله بشأن العولمة أنها الوسيلة التي عن طريقها تجعل شعوب العالم متصلة ببعضها في كل أوجه حياتها الثقافية والاقتصادية والسياسية وحتى الاجتماعية، أي الهدف منها إعادة هيكلة العالم وفق المصالح الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة الأمريكية، فالعولمة الأمريكية إن صح التعبير هي شكل من أشكال الاستعمار الجديد لبسط سيطرتها على العالم أجمع.

2- الثقافة :

الثقافة هي من المفاهيم والمصطلحات التي تثير الكثير من الغموض والجدل بين الباحثين في مجال الأنثروبولوجيا الثقافية بخاصة، بسبب التطور اللغوي والفكري للكلمة، فمن الناحية اللغة العربية تعني" ثقف يثقف ثقفا أي صار حاذقاً فطناً، تثقيف الشيء: أقام المعوج منه وسواه، ويقال ثقف الشيء والمراد سرعة التعليم ويقولون ثقف في موضوع كذا أي أخذه أو ظفر به أو أدركه "[7]، أما من الناحية الاجتماعية والثقافية فيجب الوقوف عند مفهوم **مالك ابن نبي** بأنها " علاقة معنوية بين سلوك الفرد وأسلوب الحياة في المجتمع "[8]، أي حسب هذا التعريف هي الوجه الذي يعكس صورة أي حضارة كانت، وهي كذلك مجال الإنسان المتحضر، ومن جهة أخرى نجد **تايلور** أكثر توضيحاً من **مالك ابن نبي** حين عرفها " الثقافة أو الحضارة، بالمعنى الإثنوغرافي الواسع، هو المجموع المعقد الذي يضم المعارف، المعتقدات، الفن، القانون، الأخلاق، الأعراف، وكذا الاستعدادات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضو في المجتمع "[9].

3- العولمة الثقافية :

أما فيما يتعلق بالعولمة الثقافية التي تعتبر نسق جزئي من النسق الكلي (العولمة) كما أشرنا سابقاً، فهي " فعل اغتصاب ثقافي، وعدوان رمزي على سائر الثقافات "[10]، إذً فهي تقارب يحدث بين

الثقافات المختلفة لدرجة ذوبان الفوارق الحضارية بينها وصهرها جميعها في بوتقة ثقافية واحدة ذات خصائص مشتركة[11].

بينما يرى البعض أن العولمة الثقافية عملية شاملة يشارك بها الجميع، وليس ثمة تناقض بين العولمة الثقافية، والخصوصية الثقافية، فوجود نمط ثقافي عالمي لا يعني القضاء على الثقافة الوطنية والقومية، بل يؤدي إلى مزيد من تأكيدها[12].

تعقيب: هذا الاتجاه على أرض الواقع يبدو مغاير، فالمسألة المطروحة التي تقول أن العولمة الثقافية لا تمس الثقافة الوطنية القومية هي الآن محل التغير، وبدليل ما حدث مؤخراً في المجتمعات العربية (العراق ،السودان، تونس، ليبيا، مصر، سوريا، اليمن) هذه العينات ماهي إلا دليل أن هناك قيم تدفقت على هاته الشعوب ساهمت في توتر وفي زعزعة الأنظمة السائدة بحجة البحث عن الديمقراطية والعيش الكريم، في حين قضي معظمهم أكثر من عشرين سنة في ظل نفس الحكم ونفس الأشخاص دون أي مشاكل، هنا علينا كباحثين سوسيولوجين أن نطرح هذا المشكل لماذا الآن فقط ؟، هنا عليك استحضار القيم الجديدة التي اكتسبها أفراد المجتمع من العولمة عامة والعولمة الثقافية خاصة، فالثورة العلمية والتكنولوجية جعلت العالم أكثر اندماجاً وسهلت حركة الأفراد ورأس المال الثقافي والفكري والسلع والخدمات وانتقال المفاهيم والأذواق والمفردات فيما بين الثقافات والحضارات، فهي الطاقة المولدة المحركة للقرن الحادي والعشرين في كل سياقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية، فهذه الثورة أحدثت تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر الناس بها إلى أدوارهم داخل المنظومة الاجتماعية، وبالتالي ساهمت هذه القيم الجديدة في المساس بالوطنية والقومية إلى حد ما.

فالعولمة الثقافية بمفهومها العصري تعني اشتراك في جملة من الخصائص وأنماط لغة، فكر، عادات، تقاليد، دين، ممارسات وتطبيقات، تحمل في طياتها مجموع من الثقافات ذات ملامح متشابهة تسعي في مضمونها إلى إقصاء الفوارق والرفع من حدة التماثل، من أجل بلوغ ثقافة كونية واحدة بلا حدود.

4- المواطنة :

تعتبر المواطنة من الموضوعات التي تتجدد دائماً بغض النظر عن الزمان والمكان، فهمي بمثابة مشهد درامي لا متناهي من الأجزاء في ظل التحولات الجذرية أو الحادة التي تشهدها المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري خاصة.

فالمواطنة قبل كل شيء معطى تاريخي، أي لها صيرورة دائمة، فهي لا تتسم بالثبات، وهذا راجع إلى العديد من المتغيرات سواء كانت اجتماعية أو ثقافية أو حتىاقتصادية تساهم كل واحدة على حدى في زعزعة الثبات، وهذا ما دعي بنا إلى التطرق لها.

فقد أورد أهل اللغة جملة من التعريفات الخاصة بمفهوم المواطنة إلا أنهم كانوا متقاربين في المعاني ومنها على سبيل المثال:

تناولوا أصحاب كتاب المعجم الوسيط التعريف بصورة مختلفة فقالوا "واطنه على الأمر أي أضمر فعله معه ووافقه عليه، وواطن القوم، عاش معهم في وطن واحد، واتطن البلد أي اتخذه وطناً، والموطن كل مكان أقام به الإنسان لأمر، والوطن: مكان إقامة الإنسان ومقرّه وإليه انتماؤه ولد به أم لم يولد به"[13]، كذلك يعتبر تعريف ابن منظور في لسان العرب من أقرب التعريفات الواردة في المعاجم القديمة حيث يقول " المنزل تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله "[14]، مما يلاحظ من خلال التعريفين التأكيد على فكرة الوطن وخاصة عند ابن منظور الذي يشير إلى ارتباط المواطنة بالأرض (مكان العيش) التي يقيم بها الإنسان وينتسب إليها أي مكان الإقامة أو الاستقرار أو الولادة.

والمواطنة تعني كما تقول المعارف البريطانية " علاقة بين الفرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمن تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة، متضمنة هذه المواطنة مرتبة من الحرية مع ما يصاحبها من مسؤوليات "[15] ، كما عرفها الشيباني " بأنها تعبيراً عن التعلق أو الارتباط الروحي والنفسي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية، وهذا التعلق أو الارتباط يكون إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسؤولياته نحوه "[16].

إلى جانب ذلك يمكن لنا أن نعرفها بأنها شعور داخلي نحو الوطن يعزز الولاء والانتماء والإخلاص والتمسك بخصائص التي تميز وطنه من لغة وعادات وتقاليد ورموز والحب الوطن، والتي تقوم على مجموعة من القيم كالواجبات والعلاقات والحقوق كضوابط عامة لأي مجتمع.

في حين نجد النظرة الغربية للمواطنة تختلف تماماً مع نظرتنا نحن لها فقد ناقش مارشال تطور المواطنة في ضوء تغير Class Combridge University Press فيقول في هذا السياق " مفهوم الحقوق والواجبات في القرن التاسع عشر في بريطانيا، حيث لاحظ أن هذا التغير كان يتمثل في تحول الحقوق القانونية إلى حقوق سياسية، ومن ممارسة الحقوق السياسية إلى الحقوق الاجتماعية، كذلك أكد بورجان أن فكرة المواطنة ذات جانبين: الأول الحقوق السياسية التي تمنحها الدولة للشخص حين تستعين بآرائه في وضع وتنفيذ السياسة، والثاني التزامه بالإسهام الفعال، وخضوعه لما يترتب على ذلك من نتائج "[17] . هنا يقصد أن مصطلح المواطنة يتغير بتغير الذي يطرأ على المجتمع فهو مفهوم مرن يتفاعل مع طبيعة هذا التغير فلا يمكن أن ننسب له الثبات ودليل ذلك التنوع والتعدد لمفهوم المواطنة عبر العصور حتى الزمن الراهن الذي يشهد مراجعات عميقة وجذرية أي أنه يختلف كلما اختلف الزمان والمكان.

ولكن يمكن لنا في هذا السياق أن نقول بأنها تلك العلاقة التي تبدأ بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة وبما تتضمنه تلك العلاقة من حقوق وواجبات ويندرج تحت هذا المفهوم الحرية وما

يصاحبها من مسئوليات وواجبات، والمواطنة تعطي المواطن حقوقاً سياسية وأخرى قانونية واجتماعية واقتصادية وثقافية .....الخ.

فهي تمثل " الإطار الفكري لمجموعة المبادئ الحاكمة لعلاقات الفرد بالنظام الديمقراطي في المجتمع، والتي تجعل للإنجاز الوطني روحاً في تكوين الحس الاجتماعيوالانتماء، بما يسمو بإرادة الفرد للعمل الوطني فوق حدود الواجب مع الشعور بالمسئولية لتحقيق رموز الكفاءة والمكانة لمجتمعه في عالم الغد "[18]،إذن يمتد مبدأ المواطنة ليشمل أحقية المشاركة في النشاط الاقتصادي والتمتع بالثروات فضلاً عن المشاركة في الحياة الاجتماعية كما تشمل المشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات الجماعية الملزمة وتولي المناصب العامة فضلاً عن المساواة أمام القانون بجميع صورها.

ولعل القاسم المشترك في الوقت الحاضر المعبر عن وجود قناعة فكرية وقبول نفسي والتزام أساسي بمبدأ المواطنة يتمثل في التوافق المجتمعي على عقد اجتماعي (**الدستور**) يتم بمقتضاه تضمين مبدأ المواطنة باعتباره مصدر الحقوق ومناط الواجبات بالنسبة لكل من يحمل جنسية الدولة دون تمييز عرقي أو طبقي أو عنصري ونحوهتقوم العلاقة بين الدولة والمواطن، وفي هذا الشأن يمكن القول بأنها مجموعة المعايير والمبادئ التي تمثل إطار عمل يوجه سلوك الفرد ويحكم علاقته بالآخرين من جهة، وعلاقته بمؤسساته الوطنية من جهة أخرى، وتجعله قادراً على القيام بمسؤولياته وواجباته، من خلال المشاركة الفاعلة في مجتمعه وتمسكه بحقوقه و احترام حقوق الآخرين، وإتباع الحوار والتعاون والعمل المشترك مساراً وحيداً لتحقيق الصالح العام والحياة الكريمة لأبناء الوطن على أساس العدل والمساواة، لربطهم بوطنهم وتعزيز التقارب بينهم ودفعهم جميعاً لمواصلة عطائهم وتفانيهم في أداء واجباتهم ومسؤولياتهم اتجاه الوطن والعمل على حمايته والمحافظة على تماسكه.

5- قيم المواطنة

وقيم المواطنة تتمثل في الانتماء والولاء للوطن، أداء الواجبات، الحقوق، المشاركة الاجتماعية، القيم العامة كالحرية.

1- **الولاء والانتماء:** الولاء هو جملة المشاعر والأحاسيس والسلوكيات الإيجابية التي يحملها الفرد تجاه وطنه والتي تتحدد في الحب والمسؤولية والبذل والعطاء والتضحية من أجل نصرة الوطن[19] أما الانتماء فهو تعبير عن رابطة معنوية بين الفرد ودوائر المجتمع المختلفة (الدولة) ، كما يعرف بأن الحالة التي يشكل فيها الفرد جزءاً من بنية اجتماعية معينة أو جماعة محددة، وهذا يعني إحساس الفرد أو المواطن بأنه جزء من الكل، و يؤكد الانتماء حضور مجموعة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد، التي تتغلغل في أعماق الفرد فيحيا بها وتحيى به حتى تتحول إلى وجود محسوس.[20]

2- **الحقوق والواجبات:** في حقيقة الأمر أن كل دولة قائمة على الديمقراطيةتحدد لمواطنيها حقوقهم، فتشير المادة 29 من الدستور الجزائري في الفصل الرابع الخاص بالحريات والحقوق بأن " كل المواطنين سواسية أمام القانون، ولا يمكن أن يُتذرّع بأي تمييز يعود سببه إلى المولد، أو العرق، أو

الجنس، أو الرأي، أو شرط، أو ظرف آخر، شخصي أو اجتماعي "[21]، كما تشير كل من المواد 53 و54 و55 من نفس الفصل وعلى التوالي بالحق في التعليم والرعاية الصحية والعمل، وفي المقابل كل حق يقابله واجب اتجاه وطنه، ففي الفصل الخامس بالواجبات من الدستور الجزائري أشارت المادة 61 بـ" يجب على كل مواطن أن يحمي ويصون استقلال البلاد وسيادتها وسلامة ترابها الوطني وجميع رموز الدولة"[22]

3- **العدالة:**تتجلي في إعطاء جميع المواطنين حقوقهم دون تمييز بينهم.

4- **الحرية:** نقصد بها تحرر الفرد من القيود التي تحدد حركته وتعيق تفكيره وتمنعه من الوصول إلى الأهداف والغايات التي يصبو إليها الإنسان.

•المواطنة من محلية إلى العالمية :

تعتبر المواطنة من المفرزات الاجتماعية والقانونية والسياسية ساهمت إلى حد بعيد في تطوير المجتمع الإنساني بشكل كبير، إلى جانب الرقي بالدولة من خلال مبدأ المساواة والديمقراطية، كذلك تتحدد المواطنة حسب كل مجتمع ومرجعياته الفكرية، فالمواطنة في الدول العربية ليست هي المواطنة في أوروبا أو أمريكا، فالمواطنة عندنا نحن العرب عامة والجزائر خاصة، تحكمها ضوابط قانونية إلى جانب اللغة والدين والعادات والتقاليد.

فالتيار الغربي الذي ينادى بفكرة المواطنة العالمية " أصبحوا يقرون بقناعة متزايدة بأن نظام الحكم الجغرافي الذي تمثله الدولة لا يمكنه في حد ذاته أن يعالج كما ينبغي ظواهر في نطاق ما وراء الحدود الجغرافية المرتبطة بمجالات المعلومات المعاصرة والاتصالات وتقنيات إنتاج الأسلحة والتغيرات البيئية العالمية والأسواق العالمية[23]".

فالمواطنة العالمية التي نادى بها هؤلاء هي مواطنة قائمة على قانون واحد ودين واحد ولغة واحدة وهذا الشيء لا يتناسب معنا كالدولة عربية إسلامية لها من الخصوصيات التي تتنافي بطبيعة الحال مع هاته القيم، فهاته الفكرة ليست وليدة الآن وإنما لها جذور تاريخية تعود إلى أوغست كونت وجون ستيوارت ميل وكارل ماركس إنتهاءا بأنتوني جيدنز، تحت مسمي الحكم العالمي، أي الكل نحو ثقافة ومجتمع عالمي واحد له نفس الخصائص والمبادئ.

لذلك كانت العولمة الثقافية الأمريكية بكل عناصرها المسوق الرئيسي لهذه الأفكار للوصول إلى المجتمعات العربية والجزائر على وجه الخصوص التي أصبحت المستهدف الأول بعد تونس ومصر والسودان وسوريا بدعوة التحرر من الأنظمة الاستبدادية من أجل الحرية، والهدف منها هو الدين الإسلامي الذي يبقي يهدد مجتمعاتهم الغربية.

•المواطنة وثورة المعلومات :

نحن نعيش اليوم في عالم متغير، بل شديد التغير بسبب ثورة التقدم التقني والاتصالات والمعلومات وعصر الفضائيات والإنترنت مما أدى إلى تقليص المسافات بين دول العالم وكأنهم

يعيشون في قرية واحدة، وفي عصر العولمةهذا التغير والتطور التكنولوجي والمعرفي طرأ على البشرية وألقى بضلاله على جميع تفاصيل وتراكيب الحياة.

كما يشهد ثورة كبيرة في مجال وسائل الإعلام والاتصال وقد عرف تطوراً كبيراً وسريعاً من ناحية الكم والنوع وأصبحت تشكل جزء من حياة الإنسان المعاصر، كما أصبح هذا التطور يؤثر على الجانب الفكري والمادي من حياة البشر واستطاعت هذه الوسائل أن تلف من حولها جماهير غفيرة في وقت وجيز كما ظهرت بفضل هذا التطور مفاهيم جديدة لم تكن موجودة من قبل كالثقافة الجماهيرية التي بكل بساطة هي كل المحتويات والتعبيرات والمواد الثقافية التي تنشرها وسائل الإعلام الاتصال الجماهيرية عن طريق شتى وسائلها (صحف ، جرائد، راديو، تلفاز، سينما ، إنترنيت).

إذاً نمط هذه الثقافة يولد عن طريق هذه الوسائل وقد عملت هذه الثقافة الجماهيرية عبر مختلف وسائلها على إعادة رسم الحدود والخرائط الثقافية في ظل هذا التقدم التقني والانفجار المعلوماتي الحاصل.

ومن المعلوم أن لكل مجتمع من المجتمعات إنتماءا ثقافياً وخصوصية تميزه عن غيره من المجتمعات والمجتمع الجزائري له هويته وثقافته التي تميزه عن المجتمعات الأخرى في ظل هذا التحولات التي يشهدها عصرنا الحالي قد تخترق وتمس هوية هذا المجتمع نظراً لما تحمله الثقافة الجماهيرية التي لا تتماشى عادة مع الخصوصيات الثقافية لمجتمعنا، فهي قادرة على أن تفصل المكان عن الهوية وتزيد من إضعاف الشعور بالانتماء المحلي والوطني، وتبعث به إلى صفحات الأرشيف، لذلك كان من المفيد التطرق إلى هذه المشكلة.

•المواطنة المحلية ووسائل الثقافة الجماهيرية :

إن دراسة موضوع المواطنة المحلية في المجتمع الجزائري ومدى تأثرها بالثقافة الجماهيرية يعني الوقوف على البناء السوسيولوجي للمجتمع، لما لها من أهمية ومكانة وقيمة رمزية في الحياة الاجتماعية للفرد، فالمواطنة هي ذلك الكل المركب الذي يشمل الولاء والانتماء والحقوق والواجبات والعدالة الاجتماعية والمشاركة الاجتماعية، التي يكتسبها الإنسان لأنه عضو في المجتمع، بل ويتسع مفهومها ليشمل كذلك أنماط الفكر والإحساس والقيم السائدة في مجتمع معين، فلكل مجتمع من المجتمعات البشرية على وفق هذا المفهوم وطنية خاصة به تميزه عن غيره من المجتمعات، ولكن شهد العالم في العقود الأخيرة من القرن العشرين تحولات عميقة شكلت بحد ذاتها ثورة ثقافية وإعلامية تقاربية أحدثت تغيرات مهمة في مجالات الحياة المعاصرة بفعل الثقافة الجماهيرية التي تقوم وسائل الإعلام بترويجها ونقلها والتعريف بها للجمهور باختلاف أعمارهم وأجناسهم وأماكن وجودهم ،لذلك أحسسنا بعمق هذه المشكلة من خلال هذه المداخلة.

والواقع أن الاختراق الثقافي أصبح يمثل أحدث آليات الهيمنة العالمية المعاصرة، فالاختراق الثقافي كآلية متطورة تسعى إلى تكريس منظومة معينة من القيم الوافدة تتفاعل داخل المجتمعات

العربية وتسري ببطء ولكن بثبات داخل منظومة القيم العربية والإسلامية فتعمل علي تفتيتها وتمزيقها من الداخل وإحلال القيم الأجنبية ذات الطابع الاستهلاكي محلها[24].

ومن آليات الثقافة العولمية وتهميش الثقافة الوطنية، تلك المواقع الجديدة التي تحتلها اللغات والقيم الأجنبية لدى النخب الاجتماعية، وكذلك انتشار القنوات الفضائية ووسائل الإعلام العربية التي تبث من الخارج وتعكس مناخات العواصم الغربية، ومنها التراجع المستمر في قيمة الإبداعات الداخلية لصالح مساهمات العرب المقيمين بالخارج، وبخس الإنتاج المحلي والوطني وقيمته، والمبالغة في كل ما يقوم بإنتاجه المثقفون الأجانب، ونتيجة كل هذا نمو شعور متفاقم بالدونية* تجاه الخارج، ومن ثم نشوء ميل عميق للتبني التلقائي لكل ما يصدر عن الثقافات العالمية بوصفه قيمة إيجابية[25].

ويعتبر التليفزيون وتقنية الانترنت اللتان لا يكاد يخلو منه بيت في الجزائر، كما أنهم من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً على كل شرائح المجتمع بالعموم والشباب بالخصوص، لذا فقد أصبح لهم وجود ثقافي واجتماعي ونفسي شديد التأثير في حياتنا اليومية، حيث أن الفرد يقضي وقتاً أمام التليفزيون والانترنت أكثر مما يقضونه في متابعة دروسهم، وأمورهم الأسرية، ولذلك يتضح من خلال ملاحظاتنا اليومية لطبيعة المشاهدة الأسرية، ومن خلال الأبحاث والدراسات التربوية المتعلقة بالتليفزيون في الدول العربية المجاورة، ونجد في هذا السياق العديد من الدراسات التي تناولت الآثار النفسية والاجتماعية غير المرغوبة الناجمة عن مشاهدة البرامج التليفزيونية، حيث كانت تنبثق هذه الدراسات من شكاوى ومشكلات المجتمعات التي غزتها محطات التلفزة العالمية، وما تنقله بعض المحطات عبر شاشاتها من مناظر مثيرة، حيث أكد **Condry** أن بعض الأهالي في الولايات المتحدة الأمريكية شكلوا لجنة أهلية أسموها **Parent Music Resourse Councel** وذلك لمتابعة قضايا تأثير بعض المحطات الموسيقية على الأطفال في الكونغرس الأمريكي، حيث أكد العديد من الآباء والآسر الأمريكية أن لهذه المحطات تأثيراً على المبادئ الأخلاقية، وتساهم في تشجيع الشباب على ممارسة العنف وتعاطي المخدرات[26] .

وهذا ما يوضح أهمية تأثير التلفزيون على القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمعات العالمية وعلى وجه الخصوص مجتمعنا، وهذا ما أشار إليه " **بير بورديو** " في كتابه **التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول.**

ومن أهم القيم المكونة للمفهوم المعاصر للمواطنة العالمية على حساب المواطنة المحلية القائمة على الولاء والانتماء والتي تقوم على المقومات التالية:

-النظام العالمي الجديد.

-الأسس العقلانية والضمانات القانونية للشرعية.

-احترام التنوع وحقوق الإنسان وحرياته العامة.

-التزام قيم التسامح والمساواة والحرية والديمقراطيةوالسلام[27].

فمن أهداف العولمة في المجال الثقافي، أن يسير البشر على النمط الغربي، ووفق تقليده وسلوكه، ويبدو ذلك أكثر وضوحاً في أنشطة المؤسسات الغربية في الدول النامية، وعلى سبيل المثال ما تقوم به هيئة المعونة الأمريكية، والمعونة الأسترالية، وسيدا كندا وهي تتبع للحكومة الكندية، ودانيدا الدنمارك، وفنيدا فلندا، ونورادا النرويج، وسيدا السويد وغيرها، والمؤسسات المذكورة توفر التمويل للجمعيات الأهلية النسائية في دول العالم الثالث، مستغلةً ندرة مواردها. ومما يشير إلى الاتجاهالاستغلالي لهذه المؤسسات، أن تمويلها قاصر على الدول الفقيرة، كمصر، والمغرب، وتونس والجزائر، والسودان، وموريتانيا، ولإضفاء الهدف الثقافي لمؤسسات التمويل، فإنها لا تغيب عن أي نشاط ثقافي لهذه الجمعيات، بل تنفذ للمشاركة في الأنشطة المختلفة كالمؤتمرات، والمعارض، والمحاضرات[28].

ومن الأنشطة التي تعتبر مظهراً من مظاهر السيطرة الثقافية أيضاً، مؤتمرات المرأة العالمية، كمؤتمر بكين الذي انعقد في عام 1995، والذي خرج بوثيقة مشهورة تدعو إلى: [29]

1- إلغاء التحفظات التي تستند إلى أساس ديني أو حضاري.

2- اعتبار أن الأسرة والأمومة والزواج من أسباب قهر المرأة، وأن حق الإنجاب حق مكفول للأفراد والمتزوجين على حدٍ سواء.

ومن انعكاسات العولمة على الجانب الثقافي ما بدأ واضحاً في مؤتمرات الأمم المتحدة، كمؤتمر الأمم المتحدة للسكان الذي انعقد في القاهرة عام 1992، ومؤتمر حقوق الإنسان الذي انعقد في فينا عام 1993، والتي كشفت عن تغليب معايير الثقافة الغربية[30].

إذن ما يمكن استخلاصه مما سبق ذكره أن هذه الثورة أحدثت تغيرات أساسية في الطريقة التي ينظر الناس بها إلى أدوارهم، وأبرز جوانب الثورة العلمية تكمن في الإعلام والحاسوب والإنترنت، وقد أثرت الثورة العلمية والتكنولوجية على الشباب فأصيب بعدم القدرة على الاستقرار في القيم الموروثة والمكتسبة، وعجز عن تطبيق ما يؤمنون به من قيم، مما سبب له " أزمة قيميه دفعت بالشباب بالثورة على قيم المجتمع واغترابهم عن القيم التي جاءت بها الثورة العلمية والتكنولوجية "[31].

وعلى اعتبار أن شبابنا الجزائري يعيش في ظروف بالغة الصعوبة بسبب تصعيد الإعلام العالمي والحصار الفكري والديني والسياسي والاقتصادي مما من شأنه أن يؤثر سلباً على النسق الاجتماعي الجزائري وبنيته الأسرية، والعبث بالعادات والتقاليد والمرتكزات الدينية ليترك فجوات وشروخ أثرت على مفهوم المواطنة لدى أبناء هذا الشعب وأدت ما يسمى بأزمة قيم المواطنة، لأنها تتسم بالاستمرار النسبي، إلا أنها ليست دائمة التغير والتبدل فهي تستمر ولكن ممارستها يمكن أن تضعف أو تتوقف أو تتبدل لظهور ظروف جديدة أو تغلب قيمة على أخرى، وهذا ما ظهر جلياً في الكثير من السلوكيات التي تنادى بحقوقها بوسائل غير مشروعة هي معروفة عند العام والخاص بدعوة حرية التعبير، كذلك ظهور بعض المصطلحات التي تشير نوعاً ما إلى ضعف المواطنة في المجتمع

الجزائري من خلال بعض الكلمات العامية التي أصبحت تتداول بين الشباب مثل: " **البلاد لي ما تخدمنيش ماهيش بلادي** "، كذلك تعتبر **الحرقة** التي أحرقت قلوب الكثير من الأمهات على فلذات أكبادهن الذين غادروا أحياءهم في قوارب الموت ليعودوا بعد أيام جثثاً هامدة، وما أكثرهم من قضوا حذفهم قبل أن يصلوا إلى الضفة الأخرى، لكن هذا لم يمنع من استمرار الوفود من **الحراقة** سعياً للوصول إلى القارة العجوز واللحاق بمعارفهم وجيرانهم ممن سبقوهم إلى هناك، وبالتالي تعتبر الهجرة الغير شرعية من المؤشرات التي توضح سوء العلاقة بين الفرد والدولة.

خاتمة

وأخيراً نستخلص أن المواطنة تمثل عنصر قوة رئيسي، وقوة أي دولة من قوة مواطنة شعبه وولاءه له، فإذا صلحت العلاقة بين الفرد والدولة صَلُحَ المجتمع وأحرز تنمية مستدامة شاملة، لأن المواطنة من العناصر الأساسية المكونة للتنمية، فالنمط الثقافي الذي يعزف على أوتار وصميم المواطنة في الجزائر وعبر قنوات الاتصال والإعلام الجديد هو نمط ثقافي معروف بالنمط ذو البعد الواحد، حيث يرتكز في معظمه على الإشباع الجسدي ويهمل مطالب الروح والوجدان، أي له تأثير ظاهري فقط. لذلك على الدولة الجزائرية إيجاد عمليات فعالة تعالج فيها الأمور التي تهمل وتضعف الانتماء وتأصيل الولاء للفرد لوطنه ومجتمعه .

*** قائمة المراجع :**

1-أحمد مجدى حجازي، أزمة القيم، مجلة الديمقراطية، العدد (9)، 2003 ،الأهرام ، القاهرة ، ص53.

2- محمد سيد فهمى، العولمة والشباب من منظور إجتماعي، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2007، ص:16.

3- علاء زهير عبد الجواد الرواشدة ، العولمة والمجتمع، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص: 15.

4-حجازي محمود فهمي، مجلة الهلال مارس 2001، عدد القاهرة، ص: 87.

5- محمد عابد الجابري، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت (لبنان)،1998، ص:137.

6- محمد مراد بركات، ظاهرة العولمة " رؤية نقدية "، وزارة الأوقاف القطرية، سلسلة كتاب الأمة، عدد 86، الدوحة، 1422 هـ، ص ص: 93 – 94.

7- قديرة سليم، معني الرحمة والثقافة لغةً وإصطلاحاً وعلاقتهما، الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، باكستان، ب ت ، ص: 2.

8- مالك إبن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط1، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1959، ص: 64.

9- نورالدين زمام، عولمة الثقافة " المستحيل والممكن "، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 1، نوفمبر 2011، ص: 140.

10- محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية، المستقبل العربي، عدد 229، 1998، ص: 18.

11- زكريا طاحون، بيئات ترهقها العولمة، مجلة المستقبل العربي، العدد 229، 1998، ص: 71.
12- وليد احمد مساعدة وعماد عبد الله الشريفين، العولمة الثقافية " رؤية تربوية إسلامية "، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة اليرموك، المجلد 18، العدد 1، 2010، ص: 255.
13- أنيس إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، 1972، ص: 1085.
14- أحمد عبد الحفيظ، المواطنة، شبكة رسل الحرية، مصر، ب ت ، ص: 18.
15- الزنيدي عبد الرحمن بنزيد، مبدأ المواطنة في المجتمع السعودي، اللقاء الثالث عشر لقادة العمل التربوي، الباجة، 2005، ص: 4.
16- عبيد منى كرم، المواطنة مفاهيم الأسس العلمية للمعرفة، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والإستراتيجية، العدد 15، القاهرة.
17- محمد عاطف غيث، قاموس علم الإجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006، ص ص: 52 – 53.
18- عبد الودود مكروم، الإسهامات المتوقعة للتعليم الجامعي في تنمية قيم المواطنة (القيم ومسؤوليات المواطنة رؤية تربوية)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2004، ص: 314.
19- عبد التواب عبد الله، دور كليات التربية في تأصيل الولاء الوطني، مصر، 1993، ص ص: 103 – 104.
20- رائد محمد إسماعيل أبو الكاس، تصور مقترح لتنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ المرحلة الثانوية بفلسطين في مواجهة سياسات الإحتلال الإسرائيلي، رسالة دكتوراه، أصول التربية، جامعة القاهرة، 2014، ص: 50.
21- الدستور الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في16 نوفمبر 2008.
22- نفس المرجع.
23- جون بيليس وستيف سميث، عولمة السياسية العالمية، ترجمة: مركز الخليج للأبحاث، دبي، 2004، ص: 50.
24- عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي بين التبعية والإختراق الثقافي، المجلة العربية للثقافة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 31، تونس، سبتمبر 1996.
25- سيد حاب الله السيد، إشكالية القيم لدى الشباب الجامعي بين ثقافة العولمة والثقافة التقليدية، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، العدد 16، يناير 2003.
26-Condry, Gohn, The Psychology Of Télévision, Lawrence Eribanb Associates, Publishers, New Jersey, 1989, P(77).
27- أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ط1، دار وائل للنشر، الأردن، 2011، ص: 61.
28- سهيلة زين العابدين حماد، المرأة المسلمة ومواجهة تحديات العولمة، مجلة المنهل، الإصدار السنوي الخاص، فبراير 2000، ص ص: 84 – 89.
29- نفس المرجع، ونفس الصفحة.
30- جمال الدين عطية، العولمة، مجلة المسلم المعاصر، العدد 90، نوفمبر/ديسمبر 1999،ص ص:6 – 7.
31- ضياء الدين زاهر، القيم والمستقبل، دعوة للتأمل، مجلة المستقبل، التربية العربية، المجلد(1)، العدد(2)، المركز العربي للتعليم والتنمية، القاهرة ، 1995، ص:7.